خصائص التشبيه في جزء عمّ: دراسة تحليليّة بيانيّة

Features of Metaphor and Simile in "Amma" Chapter in the Holy Quran: an Analytical Rhetorical Perspective

الدكتور: مشهور موسى مشهور مشاهرة

أستاذ مساعد في البلاغة والدّراسات القرآنية/ د.مشهور موسى مشهور مشاهرة

دائرة اللغة العربية- جامعة بيرزيت- رام الله (فلسطين)

(mmashhour@birzeit.edu)

تاريخ الإيداع: 2019/09/24 **تاريخ القبول: 2019/09/25**

ملخّص:

هذا بحث في البلاغة القرآنية، وسمته بخصائص التشبيه في جزء عم: دراسة تحليلية بيانية، وقد بنيته على مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة. فبعد أن قدّمت للموضوع، مهّدت للدراسة بالحديث عن التشبيه، ثمّ تحدّثت عن الخصائص العامّة لجزء عمّ بما يتناسب ومفردات الدّراسة، ثمّ أردفت ذلك بالتحليل البياني لستّ مسائل في التشبيه، ثلاث في التشبيه البليغ، وثلاث أخرى في المرسل المجمل، حيث تميّز جزء عمّ بهذين الضّربين من التشبيه دون سواهما. وقد خلصت الدراسة إلى وجود تناسب بديع بين التشبيه البليغ والمرسل المجمل من جهة، وموضوعات جزء عمّ من جهة أخرى كما سيتّضح.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، التشبيه البليغ، المرسل المجمل، جزء عمّ، دلالة، خصائص بيانية.

Abstract :This research examines the Quranic rhetoric especially the features of metaphor and simile in the Quranic Chapter "Amma". The study consists of three sections: an introduction, three topics and a conclusion. After introducing the topic, I moved to explore the concept 'simile'; then I discussed the general features of "Amma" Chapter in the Holy Quran that are congruent with the rhetorical terminology employed in the study. Finally, I supported the research argument with rhetorical investigation for three issues in metaphor and another three in simile. The research arrived at the conclusion that there is aesthetical harmony between

simile and metaphor on one hand and the topics dealt with in "Amma" Chapter on the other hand.

المقدّمة:

هذا بحث بلاغي نقدي، يسعى إلى الكشف عن خصائص ضَرب من التشبيه، لم يُفرد –فيما أعلم- بالدّراسة، على الرّغم من أهميّته، وعلوّ مرتبته. وهو في جزء عمّ دون غيره؛ لطبيعة سوره وآياته، من حيث المقاصد، والموضوعات، وما يستتبع ذلك من خصائص أسلوبية تتناسب والمقامات المرجوّة.

وقد بنيته على مقدّمة وثلاثة مطالب، مهّدت في المطلب الأوّل لعناصر الدّراسة، فجاءت على نحو من التأصيل الموجز للتشبيه، وخاصّة البليغ والمرسل المجمل، وتناسبهما مع جزء عمّ على وجه الخصوص. ووقفت في المطلب الثاني على الخصائص العامّة للجزء، من حيث المقاصد والأهداف، وعلاقة ذلك كلّه بالمعنى، وبكيفيّة التعبير عنه. وفي المطلب الأخير، عصب الدراسة ومرتكزها كان التحليل البياني، فبدأته بالتشبيه البليغ، مُقدّما ومؤسّسا، ومن بعد كان التحليل البياني لثلاث مسائل، والحال نفسه مع المرسل المجمل، حيث قدّمت وأسّست، ثمّ حلّلت، ولكنْ، على اختلاف في عدد الأمثلة، تبعا لوجودها في الجزء، وإن كان التحليل في مجمله يندرج في الطرفين تحت ثلاث مسائل.

وفي الختام، سجّلت أهم ما توصّلت إليه من نتائج، مع الإشارة إلى أنّ كتب التفسير وعلوم القرآن كانت هي الدّراسات السابقة، وفي الوقت نفسه المصادر الرئيسة للدّراسة، فلم أجد دراسة مستقلة تنهض بهذا الغرض([1]).

المطلب الأوّل: بين يدي التّشبيه

استعرض الأستاذان: كامل الخولي، وعلي الجندي بشيء من الاستقصاء تاريخ التشبيه في العربيّة، الخولي في كتابه: "صور من تطوّر البيان العربي"([2])، والجندي في كتابه: "فن التشبيه: بلاغة، أدب، نقد"([3]). والحقّ أنّ الأستاذين تتبّعا دراسةَ التشبيه تتبّعا دقيقا، عند أئمّة اللغة و النّقد والبلاغة والأدب، وإن كانت دراسة الجندي أكثر استقصاء واستيعابا. ومع ذلك، فلا بدّ من توطئة موجزة تُمهّد للآيات موضع الدّرس، بعيدا عن الاستقصاء التّاريخي، فليس هو المقصود في هذا المقام.

إنّ للتّشبيه مكانة خاصّة في حياتنا العامّة، وفي العربيّة على وجه الخصوص؛ نحتاج إليه للتّمثيل، والتّوضيح، والتّبيين، ولغير ذلك من الأغراض، بل إنّ النّفوس تعمد إليه بالفطرة([4]). وقد اتّفق العقلاء على أثره إذا جاء في أعقاب المعاني، ولأهميّته البالغة أفرد له الشيخ عبد القاهر الجرجاني صفحات كثيرة في "أسرار البلاغة"([5])، مِمّا دعا أستاذ البلاغة والأدب، الدكتور عبد الهادي العدل، إلى دراسته عند الشيخ الجرجاني دراسة تفصيليّة في كتابه الموسوم بِ "دراسات تفصيليّة شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير"([6]).

ومع كثرة أبواب التشبيه، وتعدّد أنواعه، إلا أنّ جزء عمّ تميّز بضربين منه فقط، هما: التشبيه البليغ، والمرسل المجمل، في تناسب تامّ مع مقاصد الجزء، وموضوعاته؛ إضافة إلى تميّزهما بالقِصَرِ الزّمني، ومحدوديّة المكان، بخلاف التشبيه التمثيلي -على سبيل المثال- الذي يحتاج إلى مساحة واسعة غير موجودة في جزء عمّ بحكم قصر سوره وآياته. والأهم من ذلك طبيعة موضوعات الجزء التي تستوجب طَرقا عاجلا، وإيقاعا سريعا، هذا فضلا عن أنّ مجمل موضوعاته حديثٌ عن بدهيّات لا تخفى على عاقل سليم الفطرة، فالحديث عن يوم القيامة ليس كالحديث عن تصوير الحياة الدّنيا، أو ما شابهها. من أجل ذلك كان التّشبيه ذو الزّمن القصير، أعني البليغ، والمرسل المجمل متناسبا كلّ التناسب مع المقاصد والموضوعات آنفة الذّكر، وسيأتي لذلك مزيد من التفصيل في المطلب الثالث، حيث الدّراسة والتحليل.

المطلب الثّاني: الخصائص العامّة لجزء عمّ:

أوّلا: جزء عمّ(مقاصد وأهداف)

تعالج سُور جزء عمّ قضايا مفصليّة في تاريخ الدّعوة الإسلامية، وتركّز كثيرا على موضوع العقيدة الإسلامية، بمفرداتها المتعدّدة؛ ففي سورة النبأ الأدلّة القاطعة على وجود يوم القيامة، وثباته ثباتا مؤكّدا(7)، وفي "النّازعات" الإقسام على بعث الأنام(8)، وفي "عبس" الخشية من يوم القيامة(9)، وفي "التكوير" التهديد الشديد بيوم الوعيد(10)، وفي "الانفطار" التحذير من الانشغال عن يوم القيامة ونسيانه(11)، وفي "المطففين" الحديث عن مصير أهل الرّشاد وأهل العناد(12)، وتدلّل "الانشقاق" على آخر المطفّفين، من أنّ الأولياء ينعمون

والأعداء يُعذّبون(13)، إلى آخر جزء عمّ، حيث تتشابه موضوعاته ما بين الحديث عن يوم القيامة، وما يتعلّق به، وبين الترغيب والتّرهيب، وما يقتضي ذلك من ضربٍ للأمثال.

ومن الجدير بالذّكر في هذا المقام أنّ سور جزء عمّ عند جمهور العلماء مكيّة ما خلا "البيّنة" و"النصر"([14])، هذا إضافة إلى كونها تندرج على وجه من الإجمال تحت مسمّى "قصار السّور". والأهم من ذلك كلّه-في هذا المقام-: طابعها الخاص، الذي يجعلها تنتظم في ضَربٍ من الأساليب اللغويّة والبيانيّة، يتعانق مع المقصد العام للجزء كلّه.

ثانيا: جزء عمّ(أصول اعتقاديّة وسمات أسلوبيّة)

تكاد تتشابه السّور المكيّة في موضوعاتها، من حيث: الدعوة إلى أصول الإيمان الاعتقادية، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وما فيه من البعث والحشر والجزاء، ومناقشة المنكرين، وقمعهم بإقامة الأدلّة العقليّة والكونيّة، ومحاجّة المشركين، ومجادلتهم، وإقامة الحجّة عليهم في بطلان عبادتهم الأصنام، وبيان أنها بمعزل عن الألوهيّة، واستحقاق العبادة، ودعوتهم إلى استعمال عقولهم، ونبذ التقليد بغير حجّة، والاعتناء بقصص الأنبياء مع أقوامهم، وأخبار الأمم الغابرة، والدعوة إلى أصول الأخلاق، بَلْهَ إلى أصول التشريعات العامّة([15]).

وأمّا عن السّمات الأسلوبيّة لهذا اللون من علوم القرآن، فعلى رأسها: قصر الآيات والسّور، ثمّ وسائل التقرير، والتّوكيد، كالإكثار من القسم، وضرب الأمثال، والتّشبيه، وكثرة الفواصل، والعبارات الموجزة، والفِقَر القصيرة ذات اللفظ الجزل، والجرس القوي، والإيقاع الشّديد، والمعنى الفحل، فتصخّ الآذان، وتصعق القلوب، وتستولي على المشاعر، وتعقل ألسنتهم عن المعارضة، وتدعهم في حيرة ودهشة مِمّا يسمعون، فلا يلبث البليغ منهم بعد سماعها إلا أن يلقي عصا العجز، ويرسلها قولة صريحة تشهد بالإعجاز([16]).

ثالثا: جزء عمّ(منازل المعاني وعلاقتها بالمقاصد)

ولمّا كان القوم في وادٍ والحقّ في واد آخر، وقد نأوا كثيرا، واستَغْشَوا ثيابهم، وأصرّوا واستكبروا استكبارا، فقد وجب أن تُقرَع أسماعهم، بمعانٍ تُحرّك القلوب، وتدعو إلى النظر العقلي، فمن أنكر البدهيّات احتاج إلى الآيات البيّنات، ولقد كان ذلك في أغلب آيات جزء عمّ.

وإذا كانت المقاصد متعلّقة بالقيامة والاستدلال عليها، فإنّ المعاني هي الأخرى مندرجة في هذا السّياق، إلا أنّ المعاني ليست متشابهة –كما هو معلوم- في حاجتها إلى الأساليب البيانيّة، فبينما تحتاج بعض المعاني إلى الاسترسال في الوصف، والإطالة في التّشبيه، تحتاج أُخرى إلى عكس ذلك، وربّما يحتاج موضوع إلى التقديم والتأخير، ويكون الحذف والذّكر أنسب في آخر، وهكذا دواليك.

وفيما يتعلّق بموضوعات سور جزء عمّ، من حيث أضرب التّشبيه التي تخدم المعاني المقصودة، فإنّ التشبيه القصير، الذي لا يتجاوز زمنا طويلا في العرض، أعني: الموجز المختصر، كفيلٌ بتبيان الغرض المنشود، حيث ينهض بالمعاني على نحو من التوكيد البديع، فيوقظ النّائمين نوما ثقيلا، ويُعالج أولئك المخمورين السّادرين في غيّهم علاجا يُقيم الحجّة عليهم، ويقمع عنادهم، فيردّهم إلى الطّريق إذا كان الله يريد هدايتهم ردّا جميلا.

يقول سيّد قطب في هذا المعنى، واصفا عموم آيات جزء عمّ وصفا أدبيا: "إنها طرقات متوالية على الحس، طَرَقَات عنيفة قوية عالية، وصيحات، صيحات بِنُوَّمٍ غارقين في النوم! نومهم ثقيل! أو بسكارى مخمورين ثَقّل حسهم الخمار! أو بلاهين في سامر، راقصين في ضجة وتصدية ومكاء! تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات المنبثقة من سور هذا الجزء كله بإيقاع واحد ونذير واحد: اصحوا، استيقظوا، انظروا، تلفّتوا، تفكّروا، تدبّروا، إن هنالك إلها، وإن هنالك تدبيرا، وإن هنالك تقديرا، وإن هنالك ابتلاء، وإن هنالك تبعة، وإن هنالك حسابا، وإن هنالك جزاء، وإن هنالك عذابا شديدا، ونعيما كبيرا"([17]). وهكذا إلى آخر حديثه السّجالي الأدبي بين هؤلاء المخمورين وبين يد الحق التي تهزّهم في كلّ مرّة يُصرّون فيها على كبرهم وعنادهم هزّا عنيفا.

إنّ هذه الكلمات، وغيرها من المقدّمات السّابقة لهي المفاتيح الرئيسة لكلّ تشبيه في الجزء، سواء أكان بليغا، أم مرسلا مجملا، فما التشبيه إلا لبنة من لبنات السّياق، ومن ثمّ، كان فهم السّياق أساس أيّ تحليل([18]).

المطلب الثّالث: التحليل البياني:

هذا المطلب يكاد يكون عصب الدّراسة ومرتكزها، وقد نظمته في ستّ مسائل، ثلاث منها في التّشبيه البليغ، ومثلها في المرسل المجمل، إلّا أنّ تلك المسائل تتفاوت فيما بينها من حيث عدد الآيات، فهي ستّ في نظمها، خمس عشرة في عدّها؛ ذلك أنّ سورة النبأ وحدها

اشتملت على تسعة تشبيهات بليغة – وهذه سمة خاصّة لسورة النبأ- بينما اشتملت(الفجر) و(المطففين) على تشبيه واحد لكلّ منهما. وقد جاء المرسل المجمل أقلّ من صنوه الأوّل، ففي(النّازعات) و(الفيل) تشبيه واحد لكلّ منهما أيضا، وفي القارعة تشبيهان، وسيأتي لهذا التوزيع تفسير في مقدّمة الحديث عنهما.

ومع هذا الاختلاف النوعي أو العددي إلّا أنّ مجمل هذه التشبيهات تُعالج قضايا مشتركة تتعلّق بأصول الدّين والعقيدة الإسلامية، حيث طبيعة سور الجزء، ومقاصده وأهدافه.

أوّلا: التّشبيه البليغ

ذكر القزويني(ت739ه) في خاتمة حديثه عن التشبيه أنّ أعلى مراتبه في قوّة المبالغة، باعتبار ذكر أركانه كلّها أو بعضها، حذف وجهه وأداته، بحيث يكون التشبيه مؤكّدا مجملا، وهو ما يُعرف بالتشبيه البليغ([19]).

وهذا ما أكّده في "الإيضاح"، فبعد أن استعرض مراتب التشبيه في القوّة والضّعف في المبالغة من جهة أركانه، قال: "وسابعتها ترك كلمة التشبيه ووجهه، كقولك: زيد أسد، وهي أقوى الجميع"([20]).

وقد أكّد التفتازاني(ت762ه) كلامَ القزويني آنف الذّكر، تأصيلا، وإجماعا، حيث ذكر أنّ ما تقدّم هو خلاصة كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وعليه جميع المحقّقين([21]).

ولا عجب في أن يحظى التشبيه البليغ بهذه المرتبة، فقد جرى على سنن العرب في كلامها، من حيث: حذف المشبّه والمشبّه به([22]). ولا شكّ في أنّ العرب تمتدح الحذف البلاغي عموما، فهو وجه من وجوه شجاعتها عند ابن جنّي(ت392ه)[23]، وهو عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبن"([24])، ولغرابة هذا الكلام، فقد دلّل عليه الجرجاني بأمثلة كثيرة، شرحا وتفصيلا([25]). فلا غرو والحال ما وصفت أن يكون الحذف علامة تتميّز فيها بعض الأساليب البلاغية.

إنّ جمال التشبيه البليغ يكمن في سكوته عن أشياء، وتركه لمساحة واسعة من التفكير، بحيث يذهب المرء في خياله كل مذهب، دون أن يحسم في جواب واحد. بمعنى: يجعلك تُفَتّش عن المعنى المحتجب، أو المركوز، فينفتح النص على دلالات واسعة، وفضاءات وتخيّلات ما كانت لتنكشف لولا حذف الأداة ووجه الشبه، وفي هذا استثارة لدواعي الشوق، المستترة خلف معاناة البحث والتنقيب، في إيجاد أوجه المناسبة بين المشبّه والمشبّه به، ذلك أنّ ذكرهما فقط يوهم اتّحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبّه إلى مستوى المشبّه به، وهذه –كما يقول السيد الهاشمي- هي المبالغة في قوّة التشبيه([26]).

المسألة الأولى: التشبيه البليغ في سورة النبأ

تمتاز سورة النبأ بكثرة التشبيهات البليغة، وخاصّة الجزء الأول منها، إذ لمّا تنازع المشركون في حقيقة يوم القيامة، وأنكر وقوعه كثير منهم، مع فخامته وجلال أمره، ثُمّ وُبّخوا على ذلك، وتوعّدهم العزيز الجبّار، وأكّد تهديده بالالتفات والتكرار، لمّا كان ذلك كذلك، فقد حشد لهم من الأدلّة المحسوسة القريبة التي لا يختلف عليها عاقل؛ قصدا إلى تبصيرهم، والردّ على إنكارهم، ثمّ قمع عنادهم، فموضوع البعث والحشر من الأنباء العظيمة التي لا ينبغي الاختلاف عليها، فضلا عن إنكارها. قال تعالى:﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا(6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا(7)...وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا(9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا(10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(11)...وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا(13)...وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا(19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا(20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا(21)**﴾النبأ:6-21

لقد بدأ سبحانه وتعالى الأدلّة والبراهين بصورة موجزة لأصلِ خلق الأرض، ومن بعد جعلها على الكيفية التي نعرفها؛ لما لها من قربٍ وملابسة([27])، أو لكونها أوّل ما يتبادر إلى الذهن عند الحشر([28]). فالحديث إذن، ليس عن خلقها، وإنّما عن حالة من أحوالها بعد خلقها، ولذلك كان اختيار(جعل) بدلا من(خلق)([29])، وكأنّ البعث حالٌ مترتّبة على الخلق.

وإذا علمنا أنّ قبل هذه الآية قوله تعالى:﴿**كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**﴾النبأ: 4-5، أدركنا أنّ قوله تعالى:﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا**﴾النبأ:6، جاءت على نحو من الاستئناف، بيانا لما أُجمل من قبل، ولذلك خلت من العطف، إذ التبيين أو التأكيد يقتضي الفصل لا الوصل([30])، وذلك كلّه على نحو من الاستفهام التقريري، الذي لا يقتضي جوابا، وإنّما تحقيق الخبر والاعتراف والإقرار([31]). ومع ذلك، فليست بلاغة الاستفهام في خروجه عن مقتضى الظاهر فحسب، وإنّما في هذه المواجهة الشديدة، التي لا تصدر إلا عن حكيم خبير، وكأنّها في قوّة ضمير

المخاطب الذي ينقل النصّ إلى الالتفات البلاغي؛ فقد التفت إليهم العزيز الجبّار التفاتة الغضب، والتهديد، وكفى بغضب الجبّار غضبا. ثُمّ إنّ جعل الأرض مهادا، يعني في وجه من الوجوه الاستدلال بأصل خلقها([32])، فالهمزة للإقرار، و(لم) للماضي؛ فقد جعلنا بعظمتنا، وتمّ ذلك، وانتهى، وشاهَدَهُ الأوّلُ والآخر، ومع ذلك، فقد جاء التعبير بالمضارع (نجعل) لاستدعاء إعمال النّظر في خلق الأرض، ومن بعد الجبال، إذ هي مرئيّات لهم، غفل عنها النّاس، ولم ينتبهوا إلى ما فيها من دقائق صنع الله عزّ وجل. فالمضارع إذن وليس الماضي؛ ليكون إقرارهم بِما قُرّروا به عن بصيرة، وليس عن تقليد وجَهالة، وهذا لا شك أدعى إلى إقامة الحجّة، والردّ على المنكرين([33]).

وبعد، فأيّ بلاغة في جعل الأرض للخلق، كالمهد للصبي؟ لا شكّ في أنّ مجيء التعبير على مقتضى التشبيه البليغ، يفتح النص على دلالات واسعة كما تقدّم في الجانب النظري آنف الذكر، إذ العين على المشبّه به أوّلا، وثانيا: على المشبّه، لأخذ ما يُناسبه من صفات المشبّه به، فمهد الصبي ينبغي أن يتوفّر فيه الأمان بأنواعه؛ من سُبُلٍ للرّاحة، والطمأنينة، والرّعاية الصحيّة، والنفسيّة إلخ، وهذه لا تكون إلا بإزالة أي إزعاج أو أثر مُنَغّصٍ يُعكّر صفو المهد، والعقلاء مجمعون على تأمين الحياة الكريمة لصبيانهم، وعلى رعايتهم في مهدهم حقّ الرعاية.

وبالعودة إلى الأرض بالنسبة للخلق، نرى أنّ الآية توجب علينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بَلْهَ إقامة دين الله في الأرض، دولة ونظام حياة، إذ إنّ مقتضى ما تقدّم، يوجب البحث عن أسباب الأمن كلّها، وذلك لا يكون إلا بالنّظرة الشموليّة لمفهوم الأمن، أعني بذلك: الأمن السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والاجتماعي، والصحي؛ الأمن على مستوى الدولة والجماعة والأفراد، وجماع ذلك كلّه: إقامة دين الله في الأرض، وبغير ذلك لن يتحقّق المقصود بالتشبيه.

وبهذا يكون فهم دلالات هذا التشبيه على الوجه الذي بيّنت، دليلا آخر ينضاف إلى أدلّة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ استنادا إلى القاعدة الذهبية: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب([34]). هذا فضلا عن الجرس الصّوتي المنبعث من إيقاع هذه السّورة، حيث يفيد هو الأخر، بهذا الانفتاح الصّوتي(مهادا)، أنّ من مقاصد هذا الدّين عمارة الأرض، إلى أي يشاء الله، فلا يجوز الاعتداء على هذا المقصد، أو تعطيله، أو قصره على زمن دون آخر، وأيّ اعتداء إنّما هو مخالفة، لسنن الله، وتحدّ لإرادة المولى عزّ وجل، الأمر الذي يعود بنا إلى ما تقدّم

من فرضيّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، شدّة ولينا حسب ما تقتضيه الحكمة المعتبرة عند أهل العلم([35]).

فسبحان من جمع في آية واحدة هذه المعاني الجليلة: استدلّ، ولوّح بالتهديد، وامتنّ، ثُمّ وعظ وأرشد؛ أقام الحجة على المنكرين، وتوعّدهم على كِبرهم وعنادهم، ثمّ امتن على الخلق بأن جعل لهم الأرض مهادا، ثمّ وعظهم وأرشدهم أنّ هذا لن يكون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تتوالى بعد ذلك التشبيهات البليغة، ومع كل واحد دلالة جديدة ليست في الآخر، فإذا كانت الأرض مُشبّهة بالبيت والمهاد، فإنّ الجبال هي الدعائم والأوتاد. ولمّا كانت الأرض المقصودة بالمهاد، هي الأرض الصالحة للسكنى، وهذه كما هو معلوم لا تكون كذلك إلا بتحقّق شروط رئيسة، على رأسها -كما تقدّم- وجوب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، تآخيا مع إقامة شرع الله في الأرض، على نحو من التّفصيل في الرّعاية والتربية السّليمة، لمّا كان ذلك كذلك، فقد أرشد الحق تبارك وتعالى إلى أنّ في هذا الدّين من الدعائم اللازمة التي هي بمثابة الجبال للأرض، في إشارة إلى أصول هذا الدّين، مثل: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وكذلك الإشارة إلى أركان الإسلام الخمسة المعروفة، وإلى الضرورات الخمس المتّفق عليها: حفظ الدّين، والنّفس، والنّسل، والعقل، والمال([36]).

وكأنّ تحقيق هذه الأركان أو الحفاظ على هذه الضّرورات، بمثابة الجبال للأرض، فهي المثبّتة والداعمة لهذا الدين، الأمر الذي يقتضي عدم التهاون بها، لأنّ أي تقصير في هذه الأركان سيؤدّي بالضرورة إلى خلل في البناء.

ولمّا كانت الجبال أضربا وأنواعا، من حيث القيمة والأهمية بالنّسبة للأرض، فإنّ هذه الدّعائم، أو الضّرورات هي الأخرى مرتّبة وفقا لاعتبارات مقصودة، ففي أركان الإيمان يكون الإيمان بالله أوّلا، وفي أركان الإسلام نجد الشّهادتين أوّلا، وفي الضّرورات حفظ الدّين مقدّم على غيره، وهكذا إلى نهاية هذه الدّعائم التي يُمكن اعتبارها أو قياسها على كثير من الأمور الرّئيسة التي فيها أصول وفروع، وما أكثرها في ديننا الحنيف، إلا أنّ أركان الإيمان، والإسلام، والضّرورات الخمس تكاد تكون من أوضح الأمثلة المحمولة على مكانة الجبال وأهميّتها بالنّسبة للأرض.

وتسترسل الآيات في الأدلّة على قدرة الله وعظمته، فمن الحديث عن الأرض والجبال، قصدا إلى عمارة الأرض على أُسس مُحكمةٍ سليمة، إلى الحديث عن الإنسان بتكوينه العجيب، وما الحديث عنه في ظنّي عقب ما تقدّم إلّا من باب أنّه المقصود بخطاب التغيير، كما انّه المقصود يوم البعث، يوم تشّقق الأرض، وهذا يؤكّد ما ذهبت إليه من أنّ الآية يُمكن أن يُفهَم منها وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ انعدامه أو عدم وجوده سبيل إلى الفوضى البهيميّة التي تأباها النّفوس السّليمة.

ومن الخلق إلى البعث والنّشور، حيث شبّه الحقّ تبارك وتعالى **النوم بالموت**، في إضافة ليست للتقييد، فكل الحيوانات تنام، لكنْ، لمّا كان الخطاب لبني البشر، جاءت الإضافة تنبيها لهم، من باب:﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾الذاريات:21، فلو تفكّر الخلق في انقطاع أثر الحواس الظّاهرة، ثمّ بعثها بعد حين، لأدركوا أنّ البعث حقّ، لا يعجز عنه العزيز الجبّار، ذلك أنّكم ترون ما يُشبهه ليل نهار. ولعلّ تشبيه النوم بالموت من أقرب الأدلّة وأوضحها على النبأ العظيم الذي بدأت السورة به؛ أعني يوم القيامة، وموضوع البعث والنّشور.

ولمّا ذكر الحقّ تبارك وتعالى النّوم أتبعه بما يناسبه، إذ الليل للإنسان كاللباس له، ولنا أن ننظر في فوائد اللباس التي لا تحصى، ففي اللباس السّتر، والوقاية والحماية، والرّاحة والطمأنينة، وغير ذلك، وهذه كلّها من لوازم الليل. ولا شك في أنّ هذه النعمة الزّمانية كما المكانية من قبل تقتضي الشكر لا الكفر والعناد، وهي كما نلاحظ أدلّة محسوسة تخاطب العقل، وتناسب المُخاطب أوّل البعثة، ولمن هم على شاكلتهم في كلّ زمان ومكان، ممن يُنكرون البعث والحساب، فما النّوم إلا الموتة الصّغرى:﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾الزمر:42.

وفي مقابل ذلك، شبّه الحقّ تبارك وتعالى اليقظة بالحياة، فإذا كان السكون من لوازم الليل والمتمّم لمعاني الموت، فإنّ جعل النّهار حياة ما هو إلا دليل بيّن على البعث، إذ إنّ فكرة البعث التي يُنكرها أهل مكّة أو المتشكّكون عموما هي المسيطرة على أجواء السورة.

لقد بدأت الأدلّة بالمكان، ثمّ الزمان، ثمّ الحديث عن بناء السماوات بإحكام يقتضي الاعتبار والإذعان، ثُمّ ذكر الحق تبارك وتعالى أعظم ما في السماء، فالشمس أو القمر مشبّهة بالسراج شديد السّنا والإضاءة. وعند الإمام البقاعي أنّ السماء كالزوج، والأرض كالمرأة، والماء كالمني، والنبات من النجم والشجر كالأولاد([37]).

وكأنّ الحق تبارك وتعالى يُخاطبهم عقب كلّ دليل: ومع ذلك تتشكّكون، وتستهزئون ولا تؤمنون! فتشبيه الشمس والقمر أو الانتقال للحديث عن السحب، ومن بعد الجنّات والإنبات، ما هو في حقيقته إلا حديث عن البعث والنّشور﴿**إنّ يوم الفصل كان ميقاتا، يوم يُنفَخ في الصّور فتأتون أفواجا**﴾النبأ:17-18.

ذكر الحق بعد ذلك آيات أخرى، لكنّها على نحو من التخويف والتهديد الموطّئ للمصير الحتمي لمن بقي على ما هو عليه من التشكيك، فقد عبّر بالماضي(فُتحت)حتّى كأنّ الأمر قد تحقّق وانتهى، ردّا عليهم، وإعراضا عن تشكّكهم واستهزائهم، إذ إنّ تصوير انفتاح السماء وانشقاقها بفتح الأبواب يُصَوّر حالة من الذّعر، فبعد أن كانت مُلتئمة اختلّ نظامها، وفسد التئامها، حتّى لم يبق حاجز إلا فُتح، وفي هذا من التهويل ما فيه، بل كأنّها بأسرها أبواب قد فُتحت أو فُتّحت، فلا سماء كالتي نعرفها.

وكما قلت فإن آخر التشبيهات يُقَدّم لمصير المكذّبين المعاندين، فالسماء كالأبواب، والجبال مشبّهة بالهباء المنثور، تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب، فإذا كان هذا مصير السماء والأرض، فكيف بك أيّها الإنسان؟﴿**أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها**﴾النازعات:28، إنّك أيّها العاصي المُتشكّك المستهزئ بالنبأ العظيم تسعى إلى مصير حتمي، هو لك بالمرصاد، أو كأنّ سائلا قال، وماذا بعد ذلك؟ فجاءه الجواب:﴿**إنّ جهنّم كانت مرصادا**﴾النبأ:21، وكأنّ جهنّم تجسّدت في صورة جعلت منها أصلا للرّصد، وتشبيه جهنّم بالراصد بزنة المبالغة إشارة إلى أنّها لا تُفلت أحدا مِمّن حقّ عليه دخولها، فهي شديدة الرّصد والمراقبة، وهذا غاية في التهديد والوعيد.

وخلاصة ما تقدّم، إنّ التشبيه البليغ في سورة النبأ جاء في الجزء الأوّل منها، بليغا يُناسب تلك الأدلّة التي لا ينبغي لعاقل أن يتشكّك فيها، فهي أدلّة حسيّة تخاطب العقل، حيث تسير معه بالتّدريج، حتّى ترتقي به إلى أهوال القيامة، وذلك في سياق التهديد والوعيد لأولئك المنكرين حقيقة القيامة والبعث. ولعلّ مجيء التشبيه على هذا الضرب من باب إزالة أيّ غشاوة عن العيون المنكرة، فتشبيه الأرض بالمهد للصبي، وتشبيه الجبال بالأوتاد، والنوم بالموت، والليل باللباس، واليقظة بالحياة، والشمس والقمر بالسراج الوهّاج، وفتح السماء بالأبواب وقد فُتّحت، ثمّ الجبال بالسّراب، وختام ذلك تشبيه جهنّم بالرّاصد، كلّ ذلك وما يليه للاتّعاظ والاعتبار، وللإشارة إلى أنّ من كانت هذه قدرته فهو لا شك أيضا قادر على البعث والنشور، فلا ينبغي لكم بعد ذلك التكذيب، أمّا إن بقيتم على ما أنتم عليه فإنّ جهنّم لكم بالمرصاد.

المسألة الثانية: التشبيه البليغ في سورة المطفّفين

إنّ مقصد سورة المطفّفين هو: ذكر مصير الأشقياء والسّعداء يوم القيامة، فالأولياء ينعمون والأعداء يُعذّبون([38])، وفي تناسب مع هذا المقصد جاء قوله تعالى:﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾المطففين:26 وصفا لِضَربٍ من نعيم الجنّة الذي خصّه الله لعباده الصّالحين من الأبرار. والشاهد في هذا المقام هو: ختامه مسك، أي: وصف آخر شربهم بالمسك، أو وصف ما يُختم به رؤوس القوارير بالمسك.

يرى الإمام الطبري بعد استعراضه لآراء العلماء الأوائل في هذه المسألة أنّ أولاها بالصّواب: قول من قال: آخره وعاقبته مسك(39). ومع ذلك فللقفّال رأي وجيه، مفاده كما يقول الرازي: "أَنَّ الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ رَأْسُ قَارُورَةِ ذَلِكَ الرَّحِيقِ هُوَ الْمِسْكُ، كَالطِّينِ الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ رؤوس القوارير"(40).

وسواء أَكُنّا مع اختيار الطبري، أم مع غيره فلا بدّ من وقفة تحليلية لهذا الضّرب من التشبيه، إذ إنّ مجيء الوصف على هذا النحو يستلزم أعلى درجات التّماثل بين المشبّه والمشبّه به، ولنا أن نتخيّل شرابا آخره يكاد يكون أنفس من أوّله، طِيبا وعطرا، وذِكرا فوّاحا، والحال نفسه مع ختمه بالمسك، في إشارة إلى كمال نفاسة الشّراب كذلك.

وإذا كانت هذه صفة الختام أو الختم فإنّها تدلّ بالضّرورة على اهتمام القرآن بالاستقصاء في وصف الجزاء، ترغيبا وتحبيبا، فحتّى الّرائحة مختارة بعناية ربّانية، فكيف بالشّراب نفسه، وبآنيته، وبحامله، وبالجوّ الذي يُقَدّم فيه؟ ومن قبل ومن بعد، بالّذي سَيُقَدّم إليه، ومع ذلك فعن ابن عبّاس: لَيْسَ فِي الجَنَّةِ شَيْءٌ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إلا الأسماء(41)، وفي الصحيحين(واللفظ لمسلم) عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "قال الله عزّ وجل: أعددتُ لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر. مصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾السجدة:17([42]).

المسألة الثالثة: التشبيه البليغ في سورة الفجر

جاء في هذه السورة: تشبيه العذاب بالسّوط في سرعة الإصابة، وهو من التشبيه البليغ، قال تعالى:﴿**فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ**﴾**الفجر:13**، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "وَإِضَافَةُ (سَوْط) إِلَى (عَذابٍ) مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، أَيْ صَبَّ عَلَيْهِمْ عَذَابًا سَوْطًا، أَيْ كَالسَّوْطِ فِي سُرْعَةِ الْإِصَابَةِ فَهُوَ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ"([43]).

وعلى هذا التأويل يكون الحق تبارك وتعالى قد شبّه ما نزل بالأقوام من نِقَمٍ، وريحٍ مُدمّرة، ورَجْفٍ، وغرق بالسّوط في سرعة العذاب، وقرب وصوله، مع شِدّةٍ حاضرة في الأذهان، فالأقوام لم تعذّب بسوط ولا بعصا، ولكنّه مَثَلٌ يُستعمل في كلّ معذَّب بنوع من العذاب الشديد، جرى به الكلام والمثل، حيث يحمل التركيب بين ثناياه غاية الألم والعذاب([44]).

ومن ذلك يتبيّن لنا التركيز على موضوع الألم على وجه الخصوص، وإلّا لَكان القتل بالسّيف، فهو أسرع قتلا وإجهازا، لكنّ في السّوط معنى التّكرار، والتّرداد، والتّواتر، الموصِل بالضّرورة إلى أقصى غايات الألم قبل لحظة الموت، مع سرعة النّزول([45]).

وفي هذا المعنى يقول سيد: " فلما أن كثر الفساد وزاد، صب عليهم سوط عذاب، وهو تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط، وبفيضه وغمره حين يذكر الصب، حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية على الطغاة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد"([46]).

وعند الزمخشري وجه آخر مفاده: أنّ ذكر السّوط من باب الإشارة إِلَى أَنَّ مَا أَحَلَّهُ الله بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَالسَّوْطِ إِذَا قِيسَ إِلَى سَائِرِ مَا يُعَذَّبُ بِهِ، وكأنّ عند الله أسواطا كثيرة، فأخذهم الله بسوط واحد منها، وهذا ما كان الحسن البصري يتأوّله عند قراءة الآية، وبمثله قال قتادة: كل شي عَذَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَهُوَ سَوْطُ عَذَابٍ([47]).

وهو عندي محتمل، فقد تتزاحم المعاني، ثمّ تجتمع، لكنّها لا تتناقض، فالله عزّ وجل، يريد أن يُرِيَهم أنّ عذاب الدّنيا لا يُقارن بعذاب الآخرة، فما هو إلا جزء من أجزاء غير متناهية لا يعلمها إلا هو.

ثانيا: التشبيه المرسل المُجمل

هذا اللون من التّشبيه يقع -عند أهل البيان- في مرتبة متوسّطة بين (المرسل المُفصّل)و(التشبيه البليغ) وله صورتان: إمّا أن يكون (مرسلا مجملا) أو (مؤكّدا مُجمَلا)([48]). والذي جاء في جزء عمّ منه، هو: المرسل المُجمل، على أنّ القول بأنّه في المرتبة الوسطى مطلقا، ليس بالوجيه، ذلك أنّ الحذف والذّكر، سواء أكان للأداة أم وجه الشّبه، فإنّما يكون لحكمة بلاغيّة، وخاصّة إذا كان ذلك في كتاب الله عزّ وجل. وعليه لا يُمكن أن نُنقص من قيمة هذا

اللون من التّشبيه لمجرّد وجود الأداة أو وجه الشّبه، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فإذا كان المقام يقتضي ذلك، فهو البلاغة بعينها، ومن المُحال أن يكون في كتاب الله عزّ وجل تركيب غير بليغ.

وقد تتبّعته هو الآخر في جزء عمّ، فكان أنّ تمّ لي الجمع والاختيار في ثلاث مسائل متّفق عليها، على النحو الذي كان في الأوّل، فحلّلت، واجتهدت في تتبّع الدّلالات، معتمدا أقوال المفسّرين في الانطلاق لأيّ انفتاح دلالي، فوجدت وظائف دلالية للكاف تتناسب والغرض المنشود، من أجل ذلك كان المرسل المجمل، وليس التشبيه البليغ، كما سيتّضح في التحليل.

المسألة الأولى: التشبيه المرسل المجمل في سورة النّازعات

يستقصرُ الكفّارُ والعصاةُ يوم القيامة مدّة لبثهم، فبعضهم يقول: إن لبثتم إلا عشرا، وبعضهم يقول: إن لبثتم إلا يوما، وبعضهم يتحيّر فيقول: اسأل العادّين([49])، وهذا كلّه من باب التقريب، وإلا فلا نسبة بين ما يتناهى إلى ما لا يتناهى([50])، قال تعالى:﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ**﴾يونس:45. وفي السياق نفسه، سياق استقصار مدّة لبثهم عند رؤية الأهوال وشدّة العذاب، يقول الحقّ تبارك وتعالى:﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾**النازعات:46.**

نلاحظ أنّ الآية الكريمة ابتدأت ب(كأنّهم)، التي اختزلت الصّورة الكليّة لحياة المكذّبين المنكرين حقيقة البعث، ومن بعد الحياة البرزخية، وقد جمعت ذلك كلّه في غاية الإيجاز، ثُمّ ذكرت الزّمن، فلا زمن يومئذ معتبر إلا الزمن الآخروي، اللحظة التي هم فيها، إنّها رؤية العذاب، وبذلك تكون الآية قد جمعت بين احتقار دنيا الكافرين، وحذّرت في الوقت نفسه من شدّة العذاب، فإذا كان هذا حال الرائي، فكيف بمن سيدخلها.

إذن، طرفا التّشبيه هما: حياة الكافرين ومنكرو البعث، من لدن خلقهم إلى بعثهم ووقوفهم بين يدي الرحمن، والمشبّه به قِصَر هذا الزمن حيث شُبّه بالعشيّة أو ضحاها. وقد جاءت(كأنّ)، دون سواها لما لها من مزايا بلاغية عالية، وكأنّي بها تجمع ما تقدّم من زمن، ثمّ تستحضره في اللحظة الرّاهنة.

ولعلّ من الخصائص الواضحة لهذا التشبيه بناءه بالأداة(كأنّ)دون سواها، حيث أرى فيها اختزالا أو استحضارا للزمن كلّه، ولا عجب فالزّمن حاضر في هذا التشبيه؛ الحياة الدنيا، وقد مضت، والقبر وقد خرجوا منه، ثمّ رؤية العذاب، ومن بعد الارتداد إلى الدنيا وعظا وإرشادا، وقد كانت الغلبة والنّصرة –في النّهاية- للزمن الآخروي(51).

وخلاصة ما تقدّم، أنّ هذا التشبيه فيه استحقار لدنيا الكافرين، ولأولئك المنكرين حقيقة البعث والنّشور، إذ مهما طال الزّمن الدّنيوي، وكثرت فيه الملذّات، وصار فيه ما صار، فإنّه عند رؤية العذاب كأن لم يكن شيئا. فالآية تُحَذّر من الرّكون إلى الدنيا، وتشير إلى حقيقة الموقف يوم القيامة وشدّته، فرؤية جهنّم-والعياذ بالله- تُنسي ما تقدّم، فيتحطّم الزّمن الماضي، من لدن خَلق المرء، إلى لحظة الرؤية، وما بين الزمنين من الحياة الدنيا، مرورا بالقبر وأهواله، ونظير ذلك -كما سبق وأشرت- قوله تعالى:﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ**﴾الأحقاف:35.

المسألة الثانية: التشبيه المرسل المجمل في سورة القارعة:

سورة القارعة فيها تشبيهان من فئة المرسل المجمل، حيث ذُكرت الأداة، وحُذف وجه الشبه، وهما من مشاهد يوم القيامة - في انسجام تام مع مقصد جزء عمّ كلّه - حيث شبّه الحق تبارك وتعالى أوّلا: حال النّاس يوم القيامة بالفراش المبثوث، وثانيا: شبّه حال الجبال بالعهن المنفوش([52]). قال تعالى:﴿**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**﴾**القارعة:4-5.**

إنّهما صورتان من عالم الآخرة، واحدة للنّاس، وأخرى للجبال، ولكي نقترب من التعرّف على شكل هاتين الصورتين، لا بدّ من ملاحظة ما في الفَراش والعهن المنفوش من صفات تُمكّننا من رسم هاتين اللوحتين.

أقول: غير خاف على أحد أنّ الفراش يمتاز بصفات لا تكاد تُفارقه، كالضّعف، والذلّة، والطيش، والغوغائيّة، والتّزاحم، والحيرة، والاضطراب، وكثرة الانتشار، والتطاير من كلّ جانب.

إذن، هو مشهد عظيم، يُنبئ عن هول الموقف، مشهد يقتضي الاعتبار والاتّعاظ قبل فوات الأوان، إذ الناس يومئذ ضعاف، قد سُلبت قوّتهم؛ كلّهم ينتظر رحمة ربّه، فلا فرق بين الخلائق إلا ما كان من تقوى، وعمل صالح، كلّهم سواسية، وفي ذلك من الوعظ ما فيه لأهل الدّنيا، وخاصّة من يزعم أنّ له قوّة على العباد، فيستضعفهم، ويتعرّض لهم بالأذى، فإلى هؤلاء اعملوا ليوم أنتم فيه جميعكم ضعاف كالفراش، أذلّاء، مقهورون، منقادون لأمر الدّاعي.

وليس هذا فحسب، بل إنّ في الطّيش الذي لا يكاد يجهله أحد في الفراش، صورة أخرى للفزع والكرب الذي ينتاب النّاس يومئذ، فهم حيرى، لا يدرون أين المسير، يتحرّكون حركة عشوائيّة غوغائيّة مضطربة، همجيّة في الاتّجاهات كلّها، يركب بعضهم بعضا من هول الموقف، لا يَعون فيها ما يفعلون ولا أين يذهبون، وقد تأكّد ذلك بالخبر والوصف، فكما لا نشك في الخبر عن ربّ العزّة، ولا في تلك الصّفة الملازمة للفراش، كذلك لا ينبغي أن نرتاب في وصفهم.

ولمّا كان الفَراش من التفرّش والانتشار أيضا([53])، فقد فُهم منه أنّ النّاس يومئذ يَجمعون بين الضّعف والذلّة والطيش، مع ما يُصاحب ذلك من كثرة بالغة، وكأن المحشر سيضيق بهم لاكتظاظهم، الأمر الذي ينعكس هو الآخر على الصّفات المتقدّمة، إلا أنّها كثرة لا غناء فيها، ويؤكّد ذلك قوله تعالى في قِصَّةِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ:﴿**وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**﴾**الْكَهْفِ: 99، وقوله:**﴿**فَتَأْتُونَ أَفْواجاً**﴾**النَّبَأ:18، وقوله:**﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ**﴾الْمُطَفِّفِينَ:6.

وأمّا الكاف الواردة في التشبيه، فإنّ فيها تلويحا إلى أنّ حالهم في ذلك اليوم أقل من الفَراش، وعليه يحق لنا أن نضيف إلى الصّفات التي ذكرناها حجما ونسبة بحيث تتعاضد مع ما أشارت إليه الكاف، وبذلك يكون مجمل حالهم كحال الفراش أو أقل.

أمّا الصورة الأخرى فهي للجبال، وقد شُبّهت بالعهن المنفوش، وفي العهن المنفوش، أي الصّوف المصبوغ المنتشر([54])، اللينُ، واللون، والتقطّع أو التفكّك، والانتشار، والصيرورة، وذلك مع عظم الجبال وصلابتها، وضرب الأمثال بشموخها ورفعتها، وهذه كلّها تنطبق على الجبال يوم القيامة، فالجبال على عظمتها، وشموخها تلين وتتفتّت متفرّقة يوم القيامة، بألوان شتّى. إنّها تتطاير تطايرا عجيبا، تطايرا يشبه الصوف المندوف في قلة كثافته، وخفّة وزنه، وكذلك هي قلوب الخَلق يومئذ، تتطاير فزعا وهلعا ورهبة. وقد أخبر الحق تبارك وتعالى عن أحوال الجبال يوم القيامة بآيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿**وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ**﴾فَاطِرٍ:27، ولعلّ ما في القارعة صورة أُخرى من صور الجبال يوم القيامة، ومنها سوى ما تقدّم قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا**﴾طه:105، وقوله:﴿**وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا**﴾الواقعة:5، وقوله:﴿**وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**﴾الحاقة:14، وقوله:﴿**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ**﴾المعارج:9، وقوله:﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا**﴾المزمل:14، وقوله:﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ**﴾المرسلات:10، وقوله:﴿**وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا**﴾النبأ:20.

وأمّا الكاف في العهن المنفوش، فهي كسابقتها في الفراش المبثوث، إشارة إلى النسبة، فهي كأصغر شيء يمكن أن يوصف بالعهن المنفوش.

يقول الإمام الرّازي: "إِنَّمَا ضَمَّ بَيْنَ حَالِ النَّاسِ وَبَيْنَ حَالِ الْجِبَالِ، كَأَنَّهُ تَعَالَى نَبَّهَ عَلَى أَنَّ تَأْثِيرَ تِلْكَ الْقَرْعَةِ فِي الْجِبَالِ هُوَ أَنَّهَا صَارَتْ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْإِنْسَانِ عِنْدَ سَمَاعِهَا! فَالْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لابن آدَمَ إِنْ لَمْ تَتَدَارَكْهُ رَحْمَةُ رَبِّهِ". وصدق الله حيث يقول:﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾الإسراء:37، وهب أنّك بلغتها طولا، وفعلت ما فعلت، فقد رأيت مصيرها، وهي المثل في القوّة والمنعة والشّموخ([55]).

المسألة الثالثة: التشبيه المرسل المجمل في سورة الفيل:

سورة الفيل فيها تصوير بيانيٌّ لحال من اغتر بوجاهته، وعلوّ مرتبته، حتّى قاده ذلك إلى الطّغيان والتجبّر، فكان عاقبة أمره خُسرا، قال تعالى حكاية عمّن غزا الكعبة:﴿**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**﴾**الفيل:5**

هذا ضَربٌ من التشبيه يتكئ من البداية على البصر، فهو كالمُشاهَد المحسوس، بالنسبة لأهل مكة، ولقريش على وجه الخصوص، وهو من الحوادث التي لا ينبغي أن يُماري فيها أحد، إذ إنّ هذا الحدث قد نُقل بالتّواتر، فصار حاله حال المدن القائمة، والأحداث المؤكّدة التي وقعت ولا تحتاج إلى دليل أو بيان، وذلك كلّه من أجل قرع الأسماع وإيقاظ النّفوس قصدا إلى الاعتبار والإيمان، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب، فكل من طغى وتجبّر، وكفر بالله ورسوله فإنّ مصيره الهلاك، مهما بلغ من العزّ والسؤدد والرّفعة والشّرف.

ونحن إذا أمعنّا النّظر في التشبيه، علمنا أنّه من التشبيهات الخالدة –وهذه سمات تشبيهات القرآن كلّها-فقد جعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدّواب فراثته، فيبس وتفرّقت أجزاؤه، كما يقول الطّبري([56]). أي أنّهم تقطّعوا وصاروا أحقر من أن يُذكروا بالهيئة الأولى التي خلقهم الله عليها، صاروا كالتّبن المُلقى في الصّحراء تأكله الدوابّ ولا قيمة له، يقول الألوسي: "والمراد جعلهم في حكم التبن الذي لا يمنع عنه الدواب، أي مبتذلين ضائعين لا يلتفت إليهم أحد، ولا يجمعهم، ولا يدفنهم، كتبن في الصحراء تفعل به الدواب ما شاءت لعدم حافظ له"(57). بمعنى أنّهم صاروا كالرّوث المتفرّق في الصّحراء، لا يجمعهم وإيّاه إلا الخسّة والسّوء، بل إنّ من يمرّ على هذه الأوصاف لا يملك إلا أن يُسرع خشية التأذّي، وكذا الحال معهم في تفرّق آراب أبدانهم تفرّق أجزاء الرّوث الذي حدث عن أكل الزّرع.

ومع قصدية تشبيههم بالرّوث في الخسّة والمهانة والتّلف إلا أنّ القرآن كعادته يترفّع عن هذه المفردات، ويكتفي بالكناية والإشارة، كقوله تعالى:﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾المائدة:75.

ليس هذا فحسب، بل إنّ المدقّق في ثنايا هذا التشبيه يلمح دلالات أخرى كثيرة مستترة، فمن ذلك أنّ أصل الزّرع ابتداء قد يكون طيّبا، و في التّاريخ أنّ عَددا ممن غزا الكعبة مع أبرهة الأشرم ينحدر مِمّن نجا من أصحاب الأخدود كما تقول الرّوايات([58])، وإذا كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب فإنّ فطرة الخلق سليمة كلّها، الفطرة التي فطر الله النّاس عليها، فأبواه من بعد يغيّران فيه ما شاءا([59]).

ولعلّ في التشبيه إشارات أخرى يمكن استخراجها، من ذلك: الإشارة إلى الزّرع وقد استوى على سوقه، خضرة ونضرة وبهاء ورفعة، وهو الحال الذي كان عليه من غزا الكعبة من القوّة والمنعة، والحال نفسه كذلك مع من يرى في نفسه قوّة وبأسا وشبابا يزهو به، ظانّا أنّه بلغ شأوا بعيدا في الغرور والطمأنينة لما هو عليه، أو بما هو فيه، حتّى إذا صار ذلك كذلك، وظنَ أهله أنّهم قادرون عليه، أو ظنّوا أنّهم من المنعة بحيث يفعلون ما شاؤوا حراما أو حلالا، جاءهم بأسنا فجعلناهم حصيدا، وهذا الذي كان لأبرهة وجنوده، بعد أن اعتدوا على حرمات الله، لم يمنعهم من الله شيء، وفي ذلك من العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

والملاحظ أنّ القرآن أولى صورتهم النّهائيّة عناية فائقة، إذ العبرة بالخواتيم، فبعد أن ترك للنّاس أن يتخيّلوا بأسهم ومنعتهم، وجّههم مباشرة إلى النّظر في الكيفيّة التي انتهَوا إليها، حيث صيّرهم الحقّ تبارك وتعالى بأفعالهم المشينة روثا ملقى لا قيمة له، إهانةً واحتقارًا، ملوّحا بذلك إلى أنّهم ما صاروا على الهيئة التي هم عليها إلا بعد مراحل معلومة في أكل البهائم، وذلك لمزيد من الاستغراق في حقيقة وصفهم.

بقي أن أُدَلّل على أنّ الكاف في هذا التّشبيه أفادت معنى ما كان ليكون لولا وجودها، فقد أشارت إلى تشبيههم بجزء يسير حقير من العصف المأكول، وهذا فيه مزيدٌ من الخسّة والمهانة، فهم كأقل شيء يمكن أن ينطبق عليه وصف العصف المأكول، ومن ثَمّ فإنّ جعلهم عصفا مأكولا، ليس كجعلهم كالعصف المأكول، فربّما أشار انعدام الكاف إلى الكثرة، أو الحجم الكبير، الذي قد يترتّب عليه فوائد، وهذا غير مراد، إذ السياق سياق مهانة واحتقار، لتناهيهم في هذا الغرور الذي قاد إلى الاعتداء على بيت من بيوت الله عزّ وجل.

الخاتمة:

وبعد، فلقد تتبّعت آيات جزء عمّ آية آية، ثمّ اخترت ما فيه من تشبيهات واضحة بيّنة، غير ملتبسة، بغيرها من الأضرب البيانيّة، كالاستعارة والمجاز، فكان التشبيه البليغ والمرسل المجمل هما التشبيهان الرئيسان في هذا الجزء. وقد رأيت تناسبهما مع مقاصد الجزء وموضوعاته من جهة، ومع خصائصه الأسلوبية من جهة أخرى، فقضايا العقيدة، وخاصّة اليوم الآخر، والبعث والنّشور، والردّ على المنكرين، وغير ذلك مِمّا جاء في الدّراسة، يتطلّب ضربا موجزا من التعبير، يتناسب مع قصر السّور والآيات، التي غلب عليها الطابع المكيّ، ومن أجل ذلك كان هذا اللون من التشبيه، أعني البليغ والمرسل المجمل أنسب من غيره، نظرا لطبيعته الزمانية، والمكانيّة، فغيره قد يحتاج إلى مساحة، وإطالة في زمن العرض، الأمر الذي لا يتناسب وطبيعة الجزء.

وقد نظمت ما اخترته في مجموعة مطالب ومسائل، ثمّ جمعت أقوال أهل التفسير المعتمدين في كلّ مسألة، وبنيت على ما أسّسوه وقعّدوه، لأخرج بعد ذلك بتصوّر بياني جديد، من حيث العرض والتّحليل الدّلالي على وجه الخصوص، إذ البحث عن الخصائص، لهو من الدّقائق التي تحتاج إلى عزم ورويّة. وقد تبيّن لي ما في اللونين(البليغ والمرسل المجمل)من تناسب جمالي تام مع الآيات التي وردا فيها، فالبليغ في موطنه كأنّه مخلوق له، والمرسل المجمل لم يغن غيره عنه، فقد نهضت الأداة بمعانٍ مقصودة، ما كانت لتكون لولا وجودها.

وبعد، فإنّني أؤمل أن أفتح بدراستي هذه الطريق لدراسات أخرى جادّة في حقول معرفيّة مختلفة، وإن لم تكن هذه، فحسبي أنّي اجتهدت، فمهّدت الطريق للباحثين، كي يكشفوا النّقاب عن جمال تلك الدّراسات. وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

([1]) **ملحوظة:** هذه مجموعة من الدراسات قريبة من مادّة موضوعي، حيث إنّها في جزء عمّ، أو في بعض سوره، ولكنّني لم أفردها بعنوان رئيس في جسم البحث؛ لبعدها عن الغرض الرئيس أحيانا، واقتصار أصحابها –غالبا- على الجمع والتبويب، دون مشاركة في رأي أو ترجيحّ، ومع ذلك، فقد اطّلعت عليها، وحاولت الإفادة منها في المقدّمات العامّة للدّراسة، وهي على النحو الآتي: **أولا:** د. يوسف قماز، **"الروابط الدلالية بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية على جزء عمّ"**، مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، مج18، ع8، 2003م، ص157-191، وهي دراسة في جزء عمّ، ولكنْ، لا علاقة لها بالتشبيه، فقد ركّز صاحبها على التناسب بين القسم وجوابه، ومعاني صيغ الجواب، وما في الروابط من لطائف. **ثانيا:** د. شريف إبراهيم

الجمل، **"أسلوب القسم: دراسة تطبيقية في جزء عم"**، جامعة طنطا، مصر، ع21، ج1، 2008م، ص81-141، وقد أخذت دراسته صفة الجمع التقليدي لموضوع القسم، فكان يذكر الآية، ويشرح مفرداتها، ثم يذكر جملة القسم وإعرابها ووجوه القراءة فيها، وأحيانا معناها كما هو عند الأوائل دون مشاركة في رأي أو ترجيح. **ثالثا:** د. يحيى عطيف، **"من أسرار النظم في سورة النبأ"**، السعودية، جامعة الملك خالد، ع1، شوال، 1427هـ، ص294-357، ودراسته مختصة بسورة النبأ، إلا أنّ عمل الدكتور يحيى يُصنّف ضمن الجمع والتبويب، فقد كان معتمده الرئيس: تفسيرا الرازي وابن عاشور. **رابعا:** د. محمد رمضان البع، **"دلالات الأصوات في فواصل آيات جزء عمّ: دراسة تحليلية"**، فلسطين، مجلة جامعة الأقصى(سلسلة العلوم الإنسانية)، مج13، ع2، يونيو،2009م، ص1-26، وهي دراسة في دلالات الأصوات كما هو عنوانها، ولا علاقة لها بالتشبيه. **خامسا**: د.عبد القادر حسين، **البلاغة القيّمة لآيات القرآن الكريم: جزء عمّ**، دار غريب، القاهرة، 1998م، وهي محاولة جادّة من الدكتور لتقريب البلاغة إلى الطلبة بأسلوب عصري، معتمدا أشهر الآراء وأوضحها، دون تعمّق أو مناقشة للآراء. **سادسا:** عصام أسعد أحمد، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية في سور جزء عم"** رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012م، وهي كما يُنبئ عنوانها في الفاصلة القرآنية وليست في التشبيه، وغير ذلك من الدراسات التي تشترك فيما ذكرت من جمع وتبويب، دون مناقشة أو ترجيح.

([2]) انظر: كامل الخولي، **صور من تطور البيان العربي إلى أوائل القرن الثامن الهجري**، دار الأنوار، القاهرة، 1962م.

([3]) انظر: علي الجندي، **فن التشبيه: بلاغة أدب نقد**، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966م.

([4]) انظر: علي الجندي، المرجع نفسه، ص48.

([5]) انظر: الجرجاني، عبد القاهر(ت474هـ)، **أسرار البلاغة**، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1991م، ص26_90، إضافة إلى صفحات أخرى متفرقة عند الحديث عن الاستعارة وغيرها.

(6) انظر: عبد الهادي العدل، **دراسات تفصيليّة شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير**، دار الفكر الحديث، القاهرة،1950م، ص4-237.

([7])انظر: البقاعي، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم(ت885هـ/1480م)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، تحقيق: د. عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض،1987م،ج3، ص150، والبقاعي، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم(ت885هـ/1480م)، **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور**، ط2، خرّج آياته ووضع حواشيه: عبد الرزّاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،2003م،ج8، ص294، و يحيى عطيف، "**من أسرار النظم في سورة النبأ**"، ص308.

([8]) انظر: البقاعي، مصاعد النظر، ج3، ص153، والبقاعي، نظم الدرر،ج8، ص308.

([9]) انظر: البقاعي، مصاعد النظر، ج3، ص157، والبقاعي، نظم الدرر،ج8، ص323.

([10]) انظر: البقاعي، مصاعد النظر، ج3، ص 161، والبقاعي، نظم الدرر، ج8، ص335.

([11]) انظر: البقاعي، مصاعد النظر، ج3، ص 164، والبقاعي، نظم الدرر، ج8، ص347.

([12]) انظر: البقاعي، مصاعد النظر، ج3، ص 167، والبقاعي، نظم الدرر، ج8، ص 354.

([13]) انظر: البقاعي، مصاعد النظر، ج3، ص 171، والبقاعي، نظم الدرر، ج8، ص367.

([14]) انظر: الزركشي، محمد بن عبد الله(ت794هـ/1391م): **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق د. يوسف المرعشلي وآخرين، دار المعرفة، بيروت، 1994م، مج1،ص280-281، والسّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ/1505م): **الإتقان في علوم القرآن**، تقديم وتعليق: د. مصطفى البغا، ط4، دار ابن كثير، 2000م، ج1، ص29-31.

([15]) انظر: محمد أبو شهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ط2، مكتبة المؤيد، السعودية، ص205-208، ومنّاع القطّان، **مباحث في علوم القرآن**،ط14،مكتبة وهبة،2007م، ص59-60، وفضل عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**،ط2009،ج1، ص385-386، وعبد الرزّاق حسين أحمد، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، ط1، دار ابن عفّان، 1999م، مج1، ص168-171، ويوسف مرعشلي، **علوم القرآن الكريم**، ط1، دار المعرفة، 2010م، ص122-123، ومحمد رمضان البع، **"دلالات الأصوات في فواصل آيات جزء عم: دراسة تحليلية"**، ص3-4، ص11-12.

([16]) انظر أبو شهبة، المرجع نفسه، ص207، وفضل عباس، **إتقان البرهان**، ج1، ص386.

([17]) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط3، دار الشروق، ج6، (بداية حديثه عن جزء عمّ)ص3800.

([18]) انظر: محمد أبو موسى، **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**،ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1980م، ص114.

([19]) انظر: القزويني، جلال الدين محمد عبد الرحمن(ت739هـ)، **التلخيص في علوم البلاغة**،ط2، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، 1932م، ص289-291.

([20]) القزويني، جلال الدين محمد عبد الرحمن(ت739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط3، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، مج2،ج4، دار الجيل، بيروت،ص129.

([21]) انظر: التفتازاني، سعد الدين مسعود(ت762هـ)، **المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم**،ط1، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص564. وانظر أصل المسألة من: الجرجاني، عبد القاهر(ت471هـ)، **أسرار البلاغة**، ص325-337 وذلك في حديثه عن الفرق بين التشبيه والاستعارة.

([22]) انظر: السبكي، بهاء الدين أحمد(ت 773هـ)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**،ط1، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، مج2، ج3، 2001م، ص234.

([23]) انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان(ت392هـ)، **الخصائص**، ج2، تحقيق: محمد علي النجّار، 1952م، ص360.

([24]) انظر: الجرجاني، عبد القاهر(ت471هـ)، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م، ص146.

([25]) انظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص146-172.

([26]) انظر: الهاشمي، السيّد أحمد(ت1934هـ)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ط2، تحقيق وشرح: د. محمد التّونجي، مؤسّسة المعارف، بيروت، 2004م، ص296، وانظر: الميداني، عبد الرحمن، **البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها**، ج2، ط3، دار القلم، دمشق، 2010م، ص174. أمّا الأدلّة على ما تقدّم فأكثر من

أن تُحصى، ولعلّ تحليل الآيات موضع الدّرس سينهض بذلك كلّه، إلا أنّني قبل الشروع في المطلوب، سأورد حديثا نبويّا، ثُمّ أحيل إلى تحليل الإمام النووي له، لنرى كيف أنّ التشبيه البليغ طريق رئيس إلى الانفتاح الدّلالي. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "الطُّهور شطرُ الإيمان، والحمدُ لله يملأُ الميزان، وسبحانَ الله والحمدُ لله يملآن أو يملأ ما بين السّماوات والأرض، والصّلاةُ نورٌ، والصّدقَةُ بُرهانٌ، والصَّبرُ ضياءٌ، والقرآن حُجَّةٌ لك أو عليك...". الشاهد في هذا الحديث: (الطُّهورُ شطرُ الإيمان) و(الصّلاةُ نورٌ) و(والصّدقَةُ بُرهانٌ) و (الصَّبرُ ضياءٌ) و (القرآنُ حُجّةٌ لك أو عليك). ووجه الاستشهاد انفتاح هذه الجمل من التشبيه على معانٍ واسعة، فقد ذكر الإمام النووي وجوها من المعاني المحتملة لكل جملة مِمّا سبق، وما كان هذا ليكون لو أنّ وجه الشبه حُدّد وذُكرت الأداة في كلّ منها. انظر: النيسابوري، الإمام مسلم بن الحجّاج(ت261هـ)، **صحيح مسلم**، مكتبة الرشد، الرياض، 2001م، حديث رقم: 223، (كتاب الطهارة/الحديث الأوّل في باب فضل الوضوء)ص69، وانظر: النووي، محيي الدّين(ت 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج**، ج3، ط5، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت،1998م، ص95-97.

([27]) انظر: البقاعي، نظم الدرر، ج8، ص297.

([28]) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر(ت 1393هـ/1973م)، **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس، مج12،ج30، ص14.

([29]) انظر ابن عاشور، المصدر نفسه، مج12، ج30، ص14.

([30]) انظر: فضل عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)**، ط9، دار الفرقان، 2004م، 420-424.

([31]) انظر: فضل عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)**،ص198.

([32]) انظر: ابن عاشور، المصدر نفسه، مج12، ج30، ص14.

([33]) انظر: ابن عاشور، المصدر نفسه، مج12، ج30، ص16.

([34]) انظر: ابن اللحّام، أبو الحسن علاء الدين(ت 803هـ)، **القواعد والفوائد الأصولية**، ط1، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م، ص130-142.

([35])انظر: ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق(ت546هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط2، تحقيق وتعليق: السيد عبد العال السيد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مج5، ص74-77، عند تفسيره للآيات (104-105) من سورة المائدة، وهذا نص كلامه لأهميّته:"وجملة ما عليه أهل العلم في هذا: أنّ الأمر بالمعروف متعيّن متى رُجي القبول، أو رُجِيَ ردّ المظالم، ولو بعنف ما لم يخف المرء ضررا يلحقه في خاصّته، أو فتنة يدخلها على المسلمين، إمّا بشقّ عصا، وإمّا بضرر يلحق طائفة من النّاس، فإذا خيف هذا فعليكم أنفسكم بحكم واجب أن يوقف عنده"، وانظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد(ت 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، مج3،ج6، ص157-165(الآيات:67-81 من سورة المائدة)، وانظر: سيد قطب، المرجع نفسه،ط30، دار الشروق،2001م، مج2، ص937-953(الآيات: 67-81)حيث تتحدّث آيات المائدة عن تفصيلات تتعلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

([36]) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم(ت 790هـ)، **الموافقات في أصول الشريعة**،ط3، ضبط الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1997م،مج1، ص476-477.

([37]) انظر: البقاعي، نظم الدرر، مج8، ص298.

([38]) انظر: البقاعي، نظم الدرر،مج8، ص354.

([39]) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد(ت 310ه)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط1، ضبطه وعلّق عليه: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت،2001م، ج30، ص132، وانظر: القرطبي، المصدر نفسه، مج10، ج19، ص174.

([40]) انظر الرازي، فخر الدين محمد(ت 604ه)، **التفسير الكبير**، ط1، دار الفكر، بيروت، 2005م، مج11، ج31، ص92، وقد رجّح هذا الرأي. وانظر أيضا: ابن عاشور، المصدر نفسه، مج12، ج30، ص206.

([41]) انظر: الطبري، جامع البيان، ج1، ص200، وذلك عند حديثه عن الآية25 من سورة البقرة.

([42]) الإشبيلي، أبو محمد عبد الحق(ت582ه)، **الجمع بين الصّحيحين**، تحقيق: طه أبو سريح، ومراجعة: د.بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، مج4، ص203.

([43]) انظر: ابن عاشور، المصدر نفسه، مج12، ج30، ص322.

([44]) انظر: الفرّاء، أبو زكرياء يحيى بن زياد(ت 207ه)، **معاني القرآن**، ط3، ج3، تحقيق: الدكتور عبد الفتّاح شلبي، والأستاذ علي النّجدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، 2002م، ص261، وانظر: الطبري، المصدر نفسه، ج30، ص219-220، وانظر: القرطبي، المصدر نفسه، مج10، ج20، ص33-34.

([45]) انظر: ابن عطية، المصدر نفسه، مج15، ص439-440.

([46]) سيد قطب، المرجع نفسه، مج6، ص3904.

([47]) انظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود(ت538ه)، **تفسير الكشّاف**، ضبط وتصحيح: محمد عبد السّلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، مج1995،4م، ص736، وانظر: الرازي: المصدر نفسه، مج11، ج31، ص157، وانظر: القرطبي، المصدر نفسه، مج10، ج20، ص33-34.

([48]) المرسل المفصّل: هو التشبيه الذي ذُكرت فيه أداة التشبيه ووجه الشّبه معا، والمرسل المجمل: هو الذي ذكرت فيه أداة التّشبيه، لكنْ لم يُذكر فيه وجه الشّبه، والمؤكّد المفصّل: هو ما لم تُذكر فيه أداة التّشبيه، وذُكِر فيه وجه الشّبه. انظر: عبد الرحمن الميداني، المرجع نفسه، ج2، ص173-174، وفضل عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان)**،ط9، دار الفرقان، 2004م، ص56-58.

([49]) قال تعالى:﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾طه:103، وقال أيضا:﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ)﴾المؤمنون:112-113.

([50]) انظر هذه المعاني وغيرها من: البقاعي، نظم الدّرر، مج8، ص322.

([51]) انظر المعنى العام للآية من: الزمخشري، المصدر نفسه، مج4، ص686، والرازي، المصدر نفسه، مج11،ج31، ص50، والقرطبي، المصدر نفسه، ج20، ص136-137، والبقاعي، مج8، ص322، وابن عاشور، المصدر نفسه، مج12، ج30، ص98-99.

([52]) انظر: محمد الأمين الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ط1، إشراف ومراجعة: د. هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، 2001م، مج32، ص228.

([53]) انظر: الزجّاج، أبو إسحق إبراهيم(ت 311ه)، **معاني القرآن وإعرابه**، شرح وتعليق: د.عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، 1988م،ج5، ص355، وانظر: الرازي، المصدر نفسه، مج11، ج31، ص67.

([54]) انظر: مادة(عهن)من: الأصفهاني، الراغب(ت425ه)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط3، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، 2002م، وانظر: الهرري، المصدر نفسه، مج32، ص228.

([55]) انظر: التفسير العام للآيتين، من: الزمخشري، المصدر نفسه،مج4، ص782، وابن عطية، المصدر نفسه، مج15، ص553-554، والرازي، المصدر نفسه، مج11، ج32، ص67-68، والقرطبي، المصدر نفسه، مج10، ج20، ص112-113، والبقاعي، نظم الدرر، مج8، ص514-515، والألوسي، محمود(ت1270ه)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، تحقيق: ماهر حبّوش وإدريس الجنابي، مؤسسة الرسالة، 2010م، ج29، ص285-286، وابن عاشور، المصدر نفسه، مج12، ج30، ص510-511، و النجار، زغلول راغب، **من آيات الإعجاز العلمي: الحيوان في القرآن الكريم**، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2006م.

([56]) انظر: الطبري، المصدر نفسه،ج30، ص369-340.

([57]) الألوسي، المصدر نفسه،ج29، ص337.

([58]) انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك(ت218ه)، **السيرة النبوية**، ط3، تحقيق وتعليق: سعيد اللحّام، دار الفكر، بيروت، 1998م، ج1، ص42-52.

([59]) ففي الصحيحين، واللفظ لمسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، كما تُنْتَج البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تحسّون فيها من جدعاء" ثمّ يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: (فطرة الله التي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله)الروم:30، انظر: النيسابوري، المصدر السابق، حديث رقم: 2658، باب: (كل مولود يولد على الفطرة)، ص675.

فهرست المصادر والمراجع

أحمد، عصام أسعد، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية في سور جزء عم**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012م

الإشبيلي، أبو محمد عبد الحق(ت582ه/1186م) **الجمع بين الصّحيحين**، تحقيق: طه أبو سريح، ومراجعة: د.بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

الأصفهاني، الراغب(ت425ه/1033م) **مفردات ألفاظ القرآن**، ط3، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، 2002م.

الألوسي، محمود(ت1270ه/1853م) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، ج29، تحقيق: ماهر حبّوش وإدريس الجنابي، مؤسسة الرسالة، 2010م.

البع، محمد رمضان، **"دلالات الأصوات في فواصل آيات جزء عمّ: دراسة تحليلية"**. فلسطين، مجلة جامعة الأقصى(سلسلة العلوم الإنسانية)، مج13، ع2، يونيو،2009م.

البقاعي، برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم(ت885هـ/1480م):
مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: د. عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض،1987م.
نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور.ط2، خرّج آياته ووضع حواشيه: عبد الرزّاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،2003م.
التفتازاني، سعد الدّين مسعود(ت792هـ/1390م)**المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
الجرجاني، عبد القاهر(ت471هـ/1078م):
دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م.
أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1991م.
الجمل، إبراهيم الجمل، **"أسلوب القسم: دراسة تطبيقية في جزء عم"**، جامعة طنطا، مصر، ع21، ج1، 2008م.
الجندي، علي، **فن التشبيه: بلاغة أدب نقد**، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966م.
ابن جني، أبو الفتح عثمان(ت392هـ/1001م)**الخصائص**، ج2، تحقيق: محمد علي النجّار، 1952م.
حسين، عبد الرزّاق أحمد، **المكي والمدني في القرآن الكريم**، ط1، دار ابن عفّان، 1999م.
حسين، عبد القادر، **البلاغة القيّمة لآيات القرآن الكريم: جزء عمّ**، دار غريب، القاهرة، 1998م
أبو حيّان الأندلسي، محمّد بن يوسف(ت 745هـ/1344م)، **البحر المحيط**، ج1، دار الفكر، بيروت، 1992م.
الخولي، كامل، **صور من تطور البيان العربي إلى أوائل القرن الثامن الهجري**، دار الأنوار، القاهرة، 1962م.
الرازي، فخر الدين محمّد(ت 604هـ/1207م)، **التفسير الكبير**، ج1، دار الفكر، بيروت، 2005م.
الزجّاج، أبو إسحاق إبراهيم(ت 311هـ/923م)، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988م.
الزركشي، محمد بن عبد الله(ت794هـ/1391م)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق الدكتور: يوسف المرعشلي وآخرين، دار المعرفة، بيروت، 1994م.
الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت 538هـ/1143م)، **تفسير الكشّاف**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
السبكي، بهاء الدين أحمد(ت 773هـ/1371م)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**،ط1، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت،2001م.
السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ/1505م)، **الإتقان في علوم القرآن**، تقديم وتعليق:

د. مصطفى البغا، ط4، دار ابن كثير، 2000م.
الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم(ت 790هـ/1388م)، **الموافقات في أصول الشريعة**،ط3، ضبط الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1997م.
أبو شهبة، محمد(1403هـ/1983م)،**المدخل لدراسة القرآن الكريم**، ط2، مكتبة المؤيد، السعودية.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/922م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**،ط1، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي،2001م.
ابن عاشور، محمد الطاهر(ت 1393هـ/1973م)، **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس.
عباس، فضل حسن(ت1432هـ/2011م):
إتقان البرهان في علوم القرآن،ط2، 2009م.
البلاغة فنونها وأفنانها(علم البيان)،ط9، دار الفرقان، 2004م.
البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)ط9، دار الفرقان، عَمّان، 2004م.
العدل، عبد الهادي، **دراسات تفصيليّة شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير**، دار الفكر الحديث، القاهرة،1950م.
عطيف، يحيى، **"من أسرار النظم في سورة النبأ"**، السعودية، جامعة الملك خالد، ع1، شوال، 1427هـ
ابن عطية الأندلسي، القاضي أبو محمّد عبد الحق(ت546هـ/1151م)،**المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**،تحقيق:عبد الله الأنصاري والسيّد عبد العال، دار الفكر العربي، القاهرة.
الفرّاء، أبو زكرياء يحيى بن زياد(ت207هـ/822م)، **معاني القرآن**، ط3، ج3، تحقيق: الدكتور عبد الفتّاح شلبي، والأستاذ علي النّجدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، 2002م.
القرطبي، أبو عبد الله محمّد(ت671هـ/1272م)، **الجامع لأحكام القرآن**،ط1، تحقيق: سالم البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
القزويني،جمال الدين محمد(ت739هـ/1338م):
الإيضاح في علوم البلاغة،ط3، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت.
التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، ط2، 1932م.
القطّان، منّاع، **مباحث في علوم القرآن**،14،مكتبة وهبة، 2007م.
قطب، سيّد(1386هـ/1966م)، **في ظلال القرآن**،ط30، دار الشروق،2001م.
قماز، يوسف، **"الروابط الدلالية بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية**

على جزء عمّ"، مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، مج18، ع8، 2003.
ابن اللحّام، أبو الحسن علاء الدين(ت803هـ/1400م) **القواعد والفوائد الأصولية**، ط1، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م.
المرعشلي، يوسف، **علوم القرآن الكريم**، ط1، دار المعرفة، 2010م.
أبو موسى، محمد، **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**،ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1980م.
الميداني، عبد الرحمن، **البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها**، ج2، ط3، دار القلم، دمشق، 2010م.
النجار، زغلول راغب، **من آيات الإعجاز العلمي: الحيوان في القرآن الكريم**، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2006م.
النووي، محيي الدّين(ت 676هـ/1277م)**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج**، ج3، ط5، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت،1998م.
النيسابوري، مسلم بن الحجّاج(ت261هـ/874م) **صحيح مسلم**،مكتبة الرشد، الرياض،2001م.
الهاشمي، السيّد أحمد(ت1352هـ/1934م) **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ط2، تحقيق وشرح: د. محمد التّونجي، مؤسّسة المعارف، بيروت، 2004م.
الهرري، محمد الأمين، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ط1، مج32، إشراف ومراجعة: د. هاشم مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، 2001م.
ابن هشام، أبو محمد عبد الملك(ت218هـ/833م) **السيرة النبوية**، ط3، تحقيق وتعليق: سعيد اللحّام، دار الفكر، بيروت، 1998م.